

السيدة الزهراء (عليها السلام) قدوة النساء المؤمنات



كان بيت علي فاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والموودة والرحمة ، تعاوننا فيه بوتنام وحنان على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله.

إنّ الزهراء خريجة مدرسة الوحي ، وهي تعلم أنّ مكان المرأة من المواقع المهمة في الإسلام ، وإذا ما تخلّت عنه وسرحت في الميادين الأخرى عجزت عن القيام بوظائف تربية الأبناء كما ينبغي.

لقد كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تبذل قصارى جهدها لإسعاد أسرتها ، ولم تستنقل أداء مهام البيت ، رغم كلّ الصعوبات والمشاق ، حتّى أنّ علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها ، وقال لرجل من بني سعد : (ألا أحدثك عنّي وعن فاطمة ، إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه وآله) إليه ، وإنّها استقتت بالقربية حتّى أثر في صدرها ، وطخنت بالرحى حتّى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر شديد.

فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيكِ ضرّاً ما أنتِ فيه من هذا العمل ، فأتت النبي (صلى الله عليه وآله) فوجدت عنده حدائماً فاستحيت فانصرفت)

قال الإمام علي (عليه السلام) : (فَعَلِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهَا جَاءَتْ لِحَاجَةٍ.)

قال الإمام علي (عليه السلام) : (فَعَدَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَنَحْنُ فِي لِفَاعِنَا ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ أَدْخَلَ ، فَلَمْ يَعْذُ أَنْ يَجْلِسَ عِنْدَنَا ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يَا فَاطِمَةُ ، مَا كَانَتْ حَاجَتُكَ أَمْسَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ؟)

قال الإمام علي (عليه السلام) : (فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ تَجِبْهُ أَنْ يَقُومَ ، فَقُلْتُ : أَنَا وَاللَّهِ أُخْبِرُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهَا اسْتَقْتَتْ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي صَدْرِهَا ، وَجَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَاهَا ، وَكَسَحَتْ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابَهَا ، وَأَوْقَدَتْ النَّارَ تَحْتَ الْقَدْرِ حَتَّى دَكَنْتْ ثِيَابَهَا.)

فَقُلْتُ لَهَا : لَوْ أَتَيْتُ أَبَاكَ فَسَأَلْتِيهِ خَادِمًا يَكْفِيكَ ضَرًّا مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَفَلَا أَعَلَّمَكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ ، إِذَا أَخَذْتُمَا مِنْكُمْ مَا فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَأَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ.)

فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلِيهِ السَّلَامُ) : (مَضَيْتُ تَرِيدِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الدُّنْيَا ، فَأَعْطَانَا اللهُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ.)

وروي أنه دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) فوجده هو وفاطمة (عليهما السلام) يطحنان في الجاروش ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (أَيُّكُمْ أَعْيَى) ؟ فقال الإمام علي (عليه السلام) : (فاطمة يا رسول الله.)

فقال (صلى الله عليه وآله) : (قومي يا بنية) ، فقامت وجلس النبي (صلى الله عليه وآله) موضعها مع الإمام علي (عليه السلام) فواساه في طحن الحبّ.

وروي عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : (يا بنتاه ، تعجّلِي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة .)

فقلت (عليها السلام) : (يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائه) ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى (وَكَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (الضحى : 5)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكس ، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز) . وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة (عليها السلام) : (أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أتى يوماً فقال : أين ابناي ؟ يعني حسناً وحسيناً ، فقلت : أصبحنا وليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق . فقال الإمام علي (عليه السلام) : اذهب بهما إلى فلان ؟ فتوجّه إليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأله (فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر ، فقال (صلى الله عليه وآله) : يا علي ، ألا تقلب إبنّي قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما ؟ فقال الإمام علي (عليه السلام) : أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمة تمرات ، فلمّا اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثمّ عاد إلى البيت. (هذه هي الدنيا في عين فاطمة (عليها السلام) مواجهة للمعاناة ، وتألم من الجوع ، وانهايار من التعب ، ولكن كلّ ذلك يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندى الإيثار ، لأنّ وراءه نعيماً لا انتهاء له ، حصة يوم يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب.

إنّ إلقاء نظرة فاحصة على حياة الزهراء (عليها السلام) توضح لنا أنّ حياتها الشاقّة لم تتغيّر حتّى بعد أن أصبحت موفورة المال ، في سعة من العيش - خصوصاً بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكاً وغيرها - عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلّتها الوافرة ، إذ روي أنّ فدكاً كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار ، وفي رواية سبعين ألف دينار سنوياً.

فالزهراء (عليها السلام) لم تعمّر الدور ، ولم تبين القصور ، ولم تلبس الحرير والديباج ، ولم تقتنّ النفائس ، بل كانت تنفق كلّ ذلك على الفقراء والمساكين ، وفي سبيل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.